فلسفة التكامل المعرفي
و دورها في تجديد الفكر التربوي الإسلامي المعاصر
- مقاربة معرفية-

أ. محمد مينار

جامعة باجي مختار، عنابة

- توطئة:

قليلة هي الدراسات الجادة في ميدان الفكر التربوي الإسلامي المعاصر، التي تحاول ملامسة أفق تحقيق فلسفة التكامل المعرفي[1]، وعليه فإن هذه الدراسة المتواضعة تحاول أن تحدث ذلك التراكم المأمول في سبيل التنبيه إلى جسامة المعضلة على الصعيد المعرفي والإبستيمولوجي من جهة، واستثمار النقاشات والمداخل المنهجية التي تثري الموضوع من جهة أخرى.

([1])ليس هناك خلاف بين أهل اللغة حول المعاني التي تشير إليها كلمة "التكامل"، من ذلك:

ما جاء في لسان العرب: "الكمال: التمام، وقيل: التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه (...) وأكملت الشيء، أجملته، وأتممته ...)، أنظر في ذلك: - محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وآخرون، طبعة جديدة، دار المعارف، مج 05، د- ت، ص 3930.

و أما المعنى الاصطلاحي الذي ينطوي عليه مسمى التكامل المعرفي، فهو عند البعض من المشتغلين في هذا الحقل المعرفي، يعدُّ " مشروعا إصلاحيا يستهدف تقويم مسيرة الفكر الإسلامي المعاصر وتفعيل مؤسساته العلمية على وجه الخصوص، في خدمة قضايا الأمة الإسلامية، من خلال وصل المعارف الانسانية والتطبيقية وتسديدها بالوحي المعصوم وتوليد معارف إسلامية قادرة على الاستجابة لحاجات الأمة على مستوى الأفراد والمؤسسات والجماعات والشعوب"، راجع: أبوبكر محمد أحمد محمد إبراهيم، **التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية، دراسة في تجربة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، 2007م، ص 335.

غير أنه يمكن في هذا المقام الإشارة إلى التعريف الذي وضعناه من جهتنا للدلالة على مفهوم التكامل المعرفي، من حيث هو: دراسة المعرفة وفق التأطير الإبستيمولوجي الإسلامي، باعتبار أن الحقيقة كامنة في شتات العلوم الاجتماعية والانسانية، المسددة بالهدي الرباني، المستبطنة للرؤية الإسلامية لله والإنسان والكون، تلك الرؤية المتجاوزة والمستغرقة للرؤية التي تأسست عليها الحداثة في الوعي الغربي.

أ- أهمية الدراسة :

تنطوي هذه الدراسة على أهمية بالغة؛ ذلك أنه يجب التنبيه إلى الوعي بضرورة تفعيل فلسفة التكامل المعرفي في الفكر التربوي الإسلامي المعاصر، على اعتبار أن إصلاح المنظومة التعليمة يعد أولوية في طريق تصحيح مسار الأمة وتشييد بنائها الحضاري، والتحاقها بركب التقدم والشهادة على الناس، ويمكن إيجاز أهمية الدراسة في النقاط التالية:

01- الخصوبة الابستيمولوجية التي ينطوي عليها الموضوع؛ باعتباره يصب في معين فلسفة العلوم من جهة، ثم إنه يسد ثغرة أكاديمية كذلك ، على اعتبار أن عددا كبيرا من الباحثين المسلمين ليسوا مهتمين بمثل هذه المباحث من جهة أخرى.

02- بيان حقيقة فلسفة التكامل المعرفي وتطبيقاته في شتى حقول المعرفة، والميدان التربوي منها بخاصة.

03- يحتل موضوع التكامل المعرفي مكانة رفيعة ضمن النقاشات الراهنة إما على صعيد الفكر الإسلامي، أو كذلك على صعيد الفكر الغربي؛ فإذا كان السجال الفكري اليوم في الغرب موضوعه جدل الدين والعلم، فإنه في ساحة الفكر الإسلامي المعاصر يدور حول بيان فلسفة التكامل المعرفي وسبل تفعيله في دائرة المعرفة الإنسانية بعامة، وعلى صعيد الفكر التربوي المعاصر بخاصة، من أجل تجاوز حالة الانفصام المعرفي والمنهجي الحاصل ضمن هذا الفكر.

04- تحوز فلسفة التكامل المعرفي كثيرا من الإمكانات التي تجعلها ترتبط بالواقع الاجتماعي خاصة، وبالتالي القدرة على علاج الكثير من العلل والأسقام الاجتماعية، لأنه بعلاج الفكر يشفى السلوك وتستقيم العلاقات الاجتماعية.

05- أضحى المجتمع مهددا من داخله بسبب انتشار الظواهر الاجتماعية المصبوغة بالصبغة الوضعية، ومن ثَمَّ فإن فلسفة التكامل المعرفي في الميدان التربوي كفيلة بالقضاء على الانفصام الذي يحياه المتعلم، بين ما يتلقاه، وبين ما يعتقده.

06- الإسهام في سبر الخلفيات الفلسفية والمعرفية التي تقف وراء القلق النفسي والفكري الذي يعاني منه المسلم المعاصر.

07- حاجة الباحثين والدارسين في شتى حقول المعرفة إلى معرفة التطورات المعرفية والمنهجية الحاصلة في العلوم ومناهجها، وما استجد فيها كذلك.

08- أضحت فكرة التكامل المعرفي ومنهجيته، من ضرورات البحث العلمي المعاصر.

ب- أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة استيعاب وفهم المضامين الابستيمولوجية لفلسفة التكامل المعرفي وكذا المبادئ العامة للمنهجية الإسلامية في صورتها المعاصرة، وذلك ميدان الفكر التربوي الإسلامي المعاصر على وجه التحديد.

ج- إشكالية الدراسة

تأسيسا على ما سبق تجد إشكالية الدراسة مبررها، حيث يمكن صياغتها وفق السؤال التالي:

- ما هي المبررات النظرية والشروط المنهجية والتجليات التطبيقية،لتفعيل فلسفة التكامل المعرفي في ميدان الفكر التربوي الإسلامي المعاصر؟.

و تتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة أخرى نذكر منها ما يلي:

1- ما حقيقة الصّلة بين فلسفة التكامل المعرفي والفكر التربوي المعاصر؟.

2- ما هي الأبعاد المعرفية لفلسفة التكامل المعرفي في الفكر التربوي المعاصر ؟

3- ما أوجه القصور المعرفي والمنهجي لجهود إصلاح الفكر التربوي الإسلامي؟

4- فيمَ تتمثل مظاهر الخلل المنهجي والإبستيمولوجي للمنهجية الغربية في مجال الفكر التربوي؟

5- ما حقيقة الخلاف الإبستيمولوجي بين النظام المعرفي الإسلامي والغربي في مجال الفكر التربوي؟

6- ما هي المضامين المعرفية لمفهوم رؤية العالم الإسلامية ومدى صياغتها للفكر التربوي المعاصر؟

- **مدخل:**

كان للصدمة التي واجهها المسلمون بسبب التفوق الحضاري الغربي والعلمي أثر بالغ في النفوس،حيث تأثرت بعض النخب المسلمة بهذا التفوق، إلى حد المطالبة بالفصل التام بين الدين والعلم، على نحو ما شهدته التجربة الغربية، وذلك في سبيل نُشْدَانِ التقدم العلمي والحضاري، ومن ثم فقد ارتبط ميدان البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في كثير من مخابر البحث في الجامعات

والمعاهد العربية والإسلامية بالأنساق الفلسفية للمنهج الوضعي[1]، الأمر الذي أفضى لصياغة حياة عامة مشبّعة بالنظرة المادية المسلوبة من القيم الموجهة لوجدان المسلم، أفرز كل ذلك تناقضات وثنائيات متصارعة فيما بينها، بين واقع المسلم والمعايير الدينية التي ألهمه بها الدين.

وتبعا لذلك، "فقد ظنَّ كثير من الناس – في بادئ الأمر- أنه يمكنهم قبول النظام المعرفي العلماني الوضعي الغربي، مع الحفاظ على عقائدهم والتزامهم الديني والخلقي، وأنه لا يضيرهم أن يخضعوا له أو لمقتضياته في مجالات حياتية كثيرة (...) وقد أصبح هذا النظام بمرور الوقت، هو الذي يصوغ للناس جميع تصوراتهم عن الكون والحياة والإنسان، بل يصوغ لهم معتقدات بديلة إذا لزم الأمر، ويجيب عن الأسئلة النهائية"[2]. الأمر الذي يجعلنا لا ننكر بأي حال من الأحوال النجاحات الباهرة التي حققها هذا النظام المعرفي الوافد، دون أن ننسى ما علق بأذهان كثير من الناس من قناعة مفادها، أنه لا يمكن "أن تقوم حضارة أو ينهض عمران إلا في إطار رؤيته الدهرية وحدها، وأنه لا بد من اتخاذ سائر الضمانات الكفيلة بجعل النظام المعرفي الديني مهمشًا وبعيدا عن أي تأثير في الحياة وإلحاق قضاياه بتراث قد مضى"[3].

صحيح أنه لم تكن الحاجة ماسة لإبراز فلسفة التكامل المعرفي في سابق عهد الأمة، باعتبارها تمثل بديلا معرفيا، "لأنه لم تكن لدى علماء الأمة في السابق حاجة ظاهرة، لأنهم كانوا يستشعرونه ضمن نظام ثقافي حضاري معرفي سائد، تشبعته نفوسهم، فالعالم الذي يتحدث أو يكتب مثله في ذلك مثل السامع أو القارئ دون أن يكون ثمة مجال لسوء الفهم"[4].

و لما كان الأمر على ذلك النحو، فإن جملة التعامل مع العلوم الطبيعية والإنسانية ضمن السياق الثقافي للأمة المسلمة في سابق عهدها، لم يكن سوى وسيلة لفهم الكون واعتباره مسخرا

([1]) Loauy Safi, **Foundation of Knowledge**,first Edition,International Islamic University and International Institute of Islamic Thought, Kuala Lumpur,1996, p: 129.

([2])**كلمةالتحرير**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة01، العدد 02، ص 07.

([3]) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

([4]) **كلمة التحرير**، مجلة إسلامية المعرفة،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 06، العدد 23، 1421هـ/ 2000م،ص 13.

للإنسان، الذي أُمِر باستثماره على الوجه الأخلاقي، وليس توظيف ما تسفر عنه نتائج تلك العلوم لتقويض القيم الإنسانية واسترقاق الطبيعة وسلب البعد البيئي عنها.

و بناءً على ذلك برزت الحاجة الملحة لإعادة رأب الصدع المعرفي الحاصل جراء هذا التواصل الثقافي الذي حدث بين المسلمين وغيرهم، بالدعوة إلى فلسفة التكامل المعـرفي باعتبارها "هيئة متآلفة متناسقة متناغمة متكاملة، هو تركيب بين الوحي والكون والعقل والتاريخ والواقع، تركيب بين الغيب والإنسان والطبيعة، بين الدين والحياة، بين عالم الغيب وعالم الشهادة، بين المعرفة والقيم، بين الدنيا والآخرة، بين الأرض والسماء، أساسها التوحيد، فبدون التوحيد يختل النظام، ويفقد توازنه ووجهته الصحيحة السليمة"[1]؛ أي أن فلسفة التكامل المعـرفي وإن كانت تستمد مصادرها من أبعاد معرفية متباينة فيما بينها، انطلاقا من الله تعالى ثم الكون ثم الإنسان، فإنه في إطار التفاعل المعرفي فيما بين هذه الأبعاد، يفضي إلى معين التوحـيد، بوصفه ناظـما أساسيا يؤلف فيما بينها، فيزول بعد ذلك التمايز والأفضلية، تحقيقا للتكامل المعرفي المنشود، لهذا لا نجد في إطار المعرفة الإسلامية، تباينا بين الخبرة البشرية والمهمة الوجودية التي أناط الدين بالإنسان القيام بها.

لهذا ترى أن من أخطر "ما أصاب النظام المعرفي عند المسلمين من تشوهات وانحرافات التحول التدريجي المستمر من نظام للمعرفة ينبت في عقيدة التوحيد، ويتطور بالاجتهاد والتجديد، إلى نظام قائم على الازدواجية بين ما هو علماني وما هو ديني، وعلى الخصومة بين ما هو وحي وما هو اجتهاد بشري، نظام قائم على التقليد والجمود"[2].

و لما كان من أدق أهداف فلسفة التكامل المعـرفي ، تحقيق مراد الله تعالى من خلقه للإنسان[3] ، فإن بعضهم لا يستبعد أن يكون هذا النظـام المعرفي مـنبثقا من إيديولوجـيا سابقة، الأمر الذي

([1])عبد العزيز بوالشعير، **النظام المعرفي في الفكر الإسلامي المعاصر،إسماعيل الفاروقي "نموذجا"**،رسالة دكتوراه ، (غير منشورة)، قسم الفلسفة،جامعة منتوري، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية،قسنطينة، الجزائر، 1428/ 1429هـ/ 2007/ 2008م، ص 383.

([2])محمود عايد الرشدان، **حول النظام المعرفي في القرآن الكريم**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 03، العدد 10، خريف1418هـ/ 1997م، ص10.

([3]) وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ، سورة الذاريات، الآية : 56 .

يجعلنا نقع في هاجس الأدلجة، لكنه في الحقيقة غير ذلك؛ بمعنى أنه لو كان كذلك لاكتفى بتبني جزء من الحقيقة، على أنه يمثل الحقيقة كلها، لكن الأمر عكس ذلك؛ حيث إن فلسفة التكامل المعـرفي تستمد مصادرها من مصادر متنوعة خصبة، تتفاعل فيما بينها، لتصبّ في الحقيقة الكلية وهي التوحيد[1] الذي بدوره يعمل على إنهاء الفصام بين الدين والعلم، في حال انسحابه على مجمل نشاطات الإنسان، عقيدة وسلوكا، فهو يؤلف بين العارف والمعرفة والغاية منها.

و في هذا السياق، يسوق لنا المسيري مثالا للدلالة على النماذج المعرفية الغربية الجاثمة على وعي المسلم المعاصـر، بقوله: "... فالمسلم الطيب، الـذي يقيم تعاليم دينه بحرص شديد، ويذهب إلى القرآن والسنة بشكل مباشر، قد غزت وجدانه ووجدان أسرته، وأن هذه النماذج قد تشكل إدراكه حتى للقرآن والسنة"[2]، وعلى هذا الأساس، فإنه بتفعيل فلسفة التكامل المعـرفي والسعي الحثيث لإبراز معالمها، يمكن حل مشكلة ازدواجية المعرفة القائمة من جهة، وبإنتاج المعرفة وفق التأطير التوحيدي ومقتضيات فقه الواقع الذي يحياه المسلم من جهة أخرى[3].

و عليه، فقد استشعر المشتغلون بالفكر التربوي الإسلامي المعاصر أن الأزمة التي استحكمت بالأمة، هي أزمة فكرية في المقام الأول، التي ألقت بظلالها على سائر مناحي الحياة، والفكر التربوي على وجه الخصوص؛ ذلك أن الأمة قد تعرضت إلى "استلاب فكري وثقافي هائل، انتهت بأن أصبـحت جميع معارفنا النظـرية غربية مائة بالمائـة، أو موضوعة في قالب وإطار غربيين، شمل ذلك الفـــكر والمنهج والمصدر والفلسفة المعرفية وموضوعاتها وأهدافها وغاياتها وكل ما له علاقة بها من

([1]) وليد منير،**أبعاد النظام المعرفي ومستوياته**،مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،السنة 05،ع 18،خريف 1999م، ص 104.

([2])عبد الوهاب المسيري، **في أهمية الدرس المعرفي**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة6، العدد 20، ربيع 1421هـ/ 2000م ، ص 119.

([3])إسماعيل راجي الفاروقي، **إسلامية المعرفة، المبادئ العامة– خطة العمل – الإنجازات**، ط1، سلسلة إسلامية المعرفة01، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1406هـ/ 1982م ، ص 75.

قريب أو بعيد"[1]، وقد أسهم الغزو الفكري وكذا الاستشراق بشكل كبير في ذلك، إلى الحد الذي تم فيه تشويه الصورة المعرفية عنها، و"حتى تلك العلوم التي نسميها بالشرعية أو الأصلية أو التقليدية أو أية تسمية أخرى لم تسلم من عملية الاستلاب والتغيير هذه، فأخضعت جوانب كثيرة منها للتطور الغربي وللوسائل الغربية والطرائق الغربية في توصيل المعرفة وتقديمها وبناء فلسفتها ومعالجة قضاياها وموضوعاتها"[2].

ورغم الجهود الإصلاحية التي واجهت هذا التحدي الفكري، فإنه "كان – للأسف– نهج معظم هذه الحركات في غالب الأحيان وكذلك تصورها لقضايا الإصلاح تصورا ونهجا غربيين، ولذلك كان من الطبيعي أن يكون نصيب تلك الحركات هو الفشل الذريع والإخفاق الشديد، لأن من البديهي أن ما يصلح للغرب من فكر وعقائد لا يصلح لأمة قدر الله لها أن يبنى كيانها ويرتبط مصيرها وشأنها بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم"[3].

ورغم محاولات التجديد التي انصبت في ميدان تصحيح الأفكار وتنبيه العقل المسلم لما هو عليه من حالات التأزم والانفصام، إلا أنه رغم ذلك كان الفشل حليفها: "لأن مستويات الخطاب بمنطلقاتها الغربية لا يمكن بحال أن تمتلك الفعالية المؤثرة ذاتها، لانفصال السياق الاجتماعي والديني والسياسي بين الشرق والغرب الذي يفرض استحالة استعارة أنموذجه لخروج الفكر الإسلامي الإصلاحي من مأزقه"[4]، وبالتالي انتقلت هذه الأمة من المكانة السامية التي بوأها الله تعالى وهي الخيرية والشهادة على الناس إلى أدنى منزلة بين الأمم الأخرى، فمن القيادة إلى الانقياد ومن الإشراف إلى التبعية.

([1])طه جابر العلواني، **الأزمة الفكرية المعاصرة ومناهج التغيير**، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م ، ص 57.

([2]) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

([3])إسماعيل راجي الفاروقي، **إسلامية المعرفة، المبادئ العامة– خطة العمل – الإنجازات**، ص 12.

([4])دعاء فينو، **بين إسلامية المعرفة وإصلاح الفكر الإسلامي**،قراءة في كتاب:إسلامية المعرفة تحرير عبد الحميد أبو سليمان وكتاب:إصلاح الفكر الإسلامي لطه جابر العلواني،مجلة إسلامية المعرفة، السنة12،العدد48،ربيع1428هـ/ 2007م، ص 170.

و عليه فإن الأزمة المترتبة عن الفصل بين الدين والعلم في إطار الحياة الغربية، امتدت هي الأخرى إلى عالم الأمة الإسلامية، بل ونفذت إلى وجدانها وجثمت على وعيها، فحين "بدأت عمليات تعميم معطيات الحداثة المنبثقة عن النظام المعرفي الوضعي على شعوب العالم برزت العيوب الأساسية للصياغة الوضعية للحياة، وطفحت أزمات التقدم بشكل لا يقل خطورة عن أزمات التخلف، (...) وهنا يتطلع المرء: هل لدى المسلمين بديل؟، وهل في مقدورهم أن يقدموا إلى العالم اليوم نظاما معرفيا كونيا يُمَكِنُ الإنسان من إعادة تركيب ما فككه النظام المعرفي الوضعي؟"[1] هذا بالطبع على صعيد الفكر التربوي الإسلامي المعاصر.

أمام هذه الحقيقة فقد سعى كثير من المفكرين التربويين المعاصرين، إلى التأكيد على أن فلسفة التكامل المعرفي تمثل مقوما معرفيا غاية في الأهمية، بها يمكن ربط العلوم بعضها ببعض؛ فإذا كانت الحقيقة مشتتة في إطار النظام المعرفي الوضعي، فإن الرؤية الإسلامية للمعرفة قادرة على استقطاب هذا الشتات وإعادة صياغة الحقيقة، وفق الناظم الديني والأخلاقي والتوحيدي الذي تزخر به، والذي يفتقر إليه النظام المعرفي الغربي.

فالنظام المعرفي الإسلامي له القدرة على حل مشكلات التربية المعاصرة ، ويقدم نفسه بديلا معرفيا للأزمة الابستيمولوجية الغربية التي عجزت عن إيجاد الإجابات الحاسمة للأسئلة الكلية، إلا أن عملية إبراز النظام المعرفي الإسلامي في الحقيقة تسبقها مراحل منهجية يمكن ذكرها على النحو الآتي:

أ- حسم الجدل الدائر بين الخبرة الإنسانية والوحي الإلهي، على اعتبار أن العقل ينضبط بضوابط الوحي وفق النمط التوحيدي.

ب- إعادة بعث فلسفة التربية الإسلامية التراثية؛ وذلك بقصد القضاء على الانفصام المعرفي والنفسي والحضاري الذي يعاني منه المسلم المعاصر.

([1]) المصدر نفسه، ص 06.

ج- إعادة تجديد مناهج التعامل مع التراث، باعتباره في "حاجة ماسة إلى التجديد والمراجعة والاجتهاد فيه (...)ومن الضروري أن يتم ذلك انطلاقا من نظامنا المعرفي الإسلامي"[1].

د- إعادة تصحيح مفاهيم التعامل مع قضايا الغيب، "فلقد دعا القرآن الكريم العقل إلى الاعتراف بقصوره وعجزه عن إدراك الغيوب وفهمها على الكمال والتفصيل، ودعاه إلى الاكتفاء بفهم أمور الغيب فهما مجملا وعاما، ثم الإيمان بـه وبتفاصيله كما جاءت عن الرسل، حتى ولو لم تكن على عادة العقل ولم تشبه في شيء مشاهداته وتجاربه"[2].

ه- إعادة النظر في الدخيل الأجنبي، أي في المنظومة المعرفية الغربية، وأنها تتميز عن النسق المعرفي الإسلامي، وهذا يقتضي "الدخول مع تيارات الفكر الوضعي في عملية حوارية ونقدية عميقة وشاملة، تقف على إشكالياته الأساسية، وتحدد مفاصله الرئيسية، وتدرك سياقات تطوره التاريخية، وتحيط بمقاصده الاجتماعية ومتعلقاته الثقافية (...) وهذه القراءة النقدية للفكر الوضعي ينبغي أن تزدوج فيها رؤية هذا الفكر من داخله ومن خارجه"[3]؛ أي تفعيل المناهج الكفيلة بفهمه ونقده وهضمه[4]، وعلى ذلك الأساس، فإن المُضي في سبيل الكشف عن النظام المعرفي الإسلامي وإبرازه وتفعيله "سيكشف الإطار الفكري للتجديد الإسلامي عن بعض الإشكالات المعاصرة التي تمثل الثقافة السائدة اليـوم لدى فئات الأمـة في نخبها وجماهيرها، فالتكوين الثقافي المعاصر للأمة الإسلامية يتضمن الكثير من العناصر المتناقضة، سواءً في الموروث من هذه الثقافة: أصيلا أو

([1])عبد الجبار الرفاعي، مجلة مناهج التجديد، حوار مع طه جابر العلواني،**إسلامية المعرفة فكرةً ومنهجًا**، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1421هـ/ 2000م ، ص 131.

([2]) إلياس بلكا، **الغيب والعقل، دراسة في حدود المعرفة البشرية**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1429هـ/ 2008م، ص 173.

([3]) **كلمة التحرير**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 01، العدد 03، رمضان 1416هـ/ 1996م، ص 06.

([4]) محمد نصر عارف، **مفهوم النظام المعرفي الإسلامي**، أنظر الموقع:
http://www.balagh.com/oldsite2/islam/151evygl.htm

دخيلا، أو الطارئ المستحدث من عناصر الثقافة الغربية التي أصبحت تصوغ كثيرا من مظاهر مجتمعاتنا وتلون كثيرا من عقليات أبنائنا"[1].

و على الجملة، يمكن القول أن النظام المعرفي الإسلامي، يعد نظاما متكاملا لأنه يجمع بين منظومتي الاعتقاد و القيم وكذلك منظومة المعرفة، الأمر الذي يجعله مؤهلا "لإنهاء الانفصام والانشطار بين ما يسمى العلوم النفسية والاجتماعية والإنسانية والعلوم الكونية والطبيعية، بل لعل الأهم من ذلك إنهاء ما طرأ من انفصام وصل إلى درجة الخصومة بين ما اصطلح على تسميته بالعلوم الشرعية وأنواع العلوم الأخرى كافة"[2].

-أولا: جذور التبعية التربوية للفكر التربوي الغربي ومبررات طرح فلسفة التكامل المعرفي

مما لا يمكن الاختلاف حوله، أنَّه "منذ أوائل هذا القرن والمنظومة الفكرية والمعرفية والثقافية الغربية تكتسح العالم كله، وتُعْمِلُ يد التفكيك في نظمه المعرفية والثقافية على اختلافها، لتحل هي محلها في سائر الجوانب وعلى سائر المستويات ودون تمييز"[3]، لينتج عن ذلك الازدواجية النفسية والفكرية التي طبعت الذات المسلمة، لتتوهم أن ليس هناك أمل في اللقاء بين الدين والدنيا، بين الدين والعلم، بين الخبرة الإنسانية والوحي المنزل، هذه الإصابات المعرفية "تفترض تصادما على مستوى خيارات المسلم بين الديني والدنيوي؛ بمعنى إن اختيار أحدهما سيفسد الآخر في ذهن المسلم وفي معاشه"[4].

فكما هو معلوم أن "الإسلام بصفة عامة والعقيدة الإسلامية على الخصوص تواجه تحديات فكرية وسلوكية (حضارية) أكثر شمولية من أي وقت مضى تعمل على اختراقها، أو تحريف

([1]) **كلمة التحرير**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 09، العددان 33-34، خريف 2003م، ص08.

([2]) محمود عايد الرشدان، **حول النظام المعرفي في القرآن الكريم**، المصدر نفسه، ص 42.

([3]) **كلمة التحرير**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 01، العدد 02، ص 05.

([4]) دعاء فينو، **بين إسلامية المعرفة وإصلاح الفكر الإسلامي**، المرجع نفسه،ص 172.

مضمونها أو تقويضها (...) كالتلوث البيئي، والعولمة، وتفكك المجتمع، وعقيدة الخلود الإنساني في الحياة الدنيا، الناتجة عن تحريف مفهوم الألوهية ونقلها من الله تعالى إلى الإنسان"[1].

و عليه فإنه على الرغم من خطورة المشكلة ذاتها وتشابكها إلا أن الحل كان أسوأ من ذلك؛ "فهؤلاء الحكام المسلـمين الذين سعوا إلى حل مشاكل بلادهم باتباع النهج الغربي حسنه أو سيئه فإنهم عجزوا عن أن يدركوا أن برامجهم سوف تزعزع وتقوض- عاجلا أم آجلا- أسس الدين الإسلامي وثقافته بين صفوف رعيتهم"[2]، مما زاد من حدة المشكلة وتداعياتها على صعيد الفكر والواقع، وقد غاب عن هؤلاء أن الحل بأيديهم لا في أيدي غيرهم، فالعودة إلى أحضان الدين كفيلة باستمداد الوعي المنهجي والمعرفي الذي يولد الإرادة ويوفر العزيمة لتقويم مجرى حياتهم.

علاوة على ذلك فإن"العلمانية أفقرت العقل المسلم وغَرَّبتْه [و غربلته أيضا]، ذلك أنها فصلته عن منابع تحفيزه وهدايته، وقطعت جذوره عن مصادر تغذيته وقوته، فالعلمانية قطعت علاقة المسلم بالوحي، ذلك المصدر الخالد الذي من شأنه تحريره من الخرافة والجهل، والخوف والذل (...) كما فصلت العلمانية العقل المسلم عن تراثه وثقافتـه، فأصبح كشجرة منبتة لا تؤتي ثمرة، ولا تمد ظلا"[3]. و تأسيسا على ما سبق فإن مشروع فلسفة التكامل المعرفي على الصعيد التربوي ترى نفسها في الوقت الحاضر بديلا لا يمكن الاستغناء عنه، باعتبارها تقدم رؤية معـرفية من شأنها توفـير الحلول المناسبة لتغيير الوضع، خصوصا لما بدأت "تتعالى أصوات الاستغاثة التي تعلن فشل فكر الحداثة وما أدى إليه من تفكيك وعجز فكر ما بعد الحداثة عن إحداث التركيب، بل انضمامه إلى

([1]) صالح نعمان، **العقيدة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة**، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، دورية أكاديمية متخصصة محكمة، تصدر عن مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، العدد الثالث، جمادى الثانية 1427هـ/ جويلية 2006م، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ص 26.

([2]) إسماعيل راجي الفاروقي، **إسلامية المعرفة – المبادئ العامة- خطة العمل – الإنجازات** ، ص 29.

([3]) محمود عايد الرشدان، **حول النظام المعرفي في القرآن الكريم**، المصدر نفسه، ص ص 12- 13.

فكر التفكيك كذلك، فإذا كان فكر الحداثة قد فكك الدين والكون والطبيعة، فإن فكر ما بعد الحداثة قد فكك الإنسان ذاته، ولا تزال عملية التفكيك مستمرة"[1].

لقد اتضح للمشاركين في المؤتمر العالمي للتعليم الإسلامي الذي انعقد في لوجانو بسويسرا عام 1977، أن الأزمة التي تتخبط فيها الأمة ليست سوى أزمة فكرية في المقام الأول، و أن سائر الأزمات الظاهرة إنما هي انعكاس لها، هذه الأزمة الفكرية إنما تعود إلى سببين اثنين هما:

السبب الأول، فتمثل في"الغزو الثقافي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بخاصة، ذلك التبديل الذي جعل عقول أبناء الأمة الإسلامية تتخطى الفكر الإسلامي (...) فقد صار المثقفون المسلمون يأخذون حاجتهم من جوانب المعرفة الإنسانية المختلفة من معين الغرب، الذي شاد كيان هذه العلوم وبناها على أساس من منظوره ووفقا لظروفه وحاجته وأهدافه وغاياته"[2]، الأمر الذي أحدث انفصاما حادا في حياة المسلمين، بين منطلق قيم دينهم وغايات المناهج والعلوم الغربية التي يقتبسون منها، فأصبحوا يمارسون حياتهم في واقع ليس من صنعهم ولا هو منبثق من عقيدتهم، ولا يعكس صورة القيم التي جاء بها الدين، بمعنى أن هذا الغزو الثقافي الشامل، لم يحدث الفصام على مستوى ذواتهم فحسب، بل بين ذواتهم وواقعهم أيضا[3].

أما **السبب الثاني**، فيعود إلى "قطع صلة هذه الأمة بتراثها الإسلامي، وتحويله إلى مجرد تراث تاريخي يفتخر به، ويتغنى بأمجاده، وتختار منه النماذج الفولكلورية التي تكرسها النظرة الغربية إلى التراث"[4]، وفي تقديرنا أن السبب الكامن للرغبة في قطع صلة هذه الأمة بتراثها، يهدف لاجتثاث هويتها، وبالأخص التربوية منها، لأن التراث الإسلامي في الحقيقة يتضمن بصورة أو بأخرى القيم الدينية والأهداف والغايات التي جاء بها الإسلام، بل إن التراث ما هو في الحقيقة إلا

([1])طه جابر العلواني، **لماذا إسلامية المعرفة** ؟، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 01، العدد 01، 1995م، ص 27.

([2]) المصدر السابق، ص ص17-18.

([3]) المصدر نفسه، ص 18.

([4]) المصدر نفسه، الصفحة نفسها، وأنظر أيضا: (جمال سلطان، **الغارة على التراث الإسلامي**، ط1، دار الخليل، بيروت، لبنان، 1411هـ/ 1991م، ص 20) .

"انعكاس للمبادئ الإسلامية الأساسية على النشاط المعرفي عبر تاريخنا، منحه خصائصه الإسلامية المتميزة التي يمكن أن تمثل ليس مبرر استمراره في العالم فحسب، بل تمنحه القدرة على اقتحام شبكة النشاط المعرفي للحضارة الراهنة، والقدرة الفعالة على الإسهام المستقبلي فيه"[1].

ففي الوقت الذي انقطعت فيه صلة الأمة بماضيها، كان عليها أن تستعيض عن هذه القطيعة، بمدِّ الجسور المعرفية مع ثقافة الغرب، عن طريق استقدام المعارف والعلوم لتحقيق التقدم والتمدن، لكن في الحقيقة ينبغي التنبيه إلى أن "قضية التبعية للغرب التي وقع فيها المسلمون في جوانب كثيرة من حياتهم ليست جديدة، وهذه التبعية للغرب غالبا ما تروج مغلفة بدعوى الاستفادة من إنجازات العصر، غير أن أخطر جوانبها ذلك الذي وصل إلى حد المطالبة بتكرار التجربة التي نشأت وتطورت في الغرب، وتـكرارها في العالم الإسلامي حتى تتحقق لنا نتائجها، على اعتبار أن هذا الطريق هو الأوحد للانضمام إلى قافلة الحياة العصرية"[2].

-ثانيا: مظاهر الأزمة المترتبة عن غياب فلسفة التكامل المعرفي عـلى صـعيد الفكـر التربـوي الإسلامي:

لقد تم في إطار المعرفة الغربية تشـطير المعرفة شطرين، المعـرفة الدينية والمـعرفة الدنيوية، اللّتين ليس هناك رابط يجمع بينهما، وقد استبعدت المعرفة الدينية، لاستبداد العقل والحس بالمعرفة الدنيوية، وتم أيضا تأليه الإنسان وعلمنة الأخلاق[3]، وقد انعكس ذلك بشكل جلي على المنظومة التعليمة، وذلك في إطار التواصل الحضاري الذي تم بأشكال مختلفة.

و عليه فإنه يمكن إبراز أهم مظاهر هذه الأزمة فيما يلي:

([1]) عماد الدين خليل، **في منهج التعامل مع التراث**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 05، العدد 19، شتاء1999م، ص 123.

([2]) كمال جحيش، **جذور التبعية للغرب في الفكر الحداثي العربي**، محاولة نقـدية لإيديولوجيا الحـداثة في قراءة النص القرآني، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، دورية أكاديمية متخصصة محكمة، العدد 05، رجب 1430هـ/ جويلية 2009م،مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ص 297.

([3]) لوك فيري،**الإنسان المؤله أو معنى الحياة**، ترجمة: محمد هشام، د- ط، أفريقيا الشرق، الدارالبيضاء، المغرب،2002م، ص54.

1- ازدواجية المعرفة:

يمكن القول إن معضلة إزدواجية المعرفة إنما تعود إلى بدايات نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة أي إلى المراحل المبكرة لـنشأة علم الكلام، الـذي فرضته تحـديات جمة، حملت العلماء والفلاسفة على المواجهة، لكن سرعان ما تحول هذا العلم من وسيلة للدفاع عن العقائد الدينية إلى وسيلة لبلوغ أهداف سياسية، أو الانتصار لنزعات طائفية، كما أنه انحرف بالتصور الإسلامي، فلم يبق على الطريق الذي رسمت له من قبل، الأمر الذي جعله يغرق في التجريد ويقع في المزالق المعرفية، بتبنى تصورات وأنساق فلسفية تعارض العقيدة الإسلامية وتناقضها، أكثر ما تفيدها أو تنافح عنها.

إن علم الكلام القديم رغم ما قدمه من خدمة جليلة لقضايا العقيدة الإسلامية، إلا أنه بقدر ما كان ينافح عن العقيدة ، ويثبت الإيمان، بقدر ما كان يبتعد عن روح القرآن الكريم ومنهجه، "فواقع المسلمين يشهد على إحجامهم عن النظر في آفاق الكون واستثمارها في جانبي المعرفة والتسخير، وإن أقبلوا عليها باحتشام"[1]، ذلك أنه كان عليهم الاقتداء بالمنهج القرآني في النظر والتدبر الذي يؤدي إلى استثمار هذا النظر في واقعهم للنهوض به إلى ما يحقق الاستخلاف المأمور به في الشرع؛ فالاستخلاف ليس يفهم منه مجرد عبادة الله تعالى وطاعته، من دون العمل على تحقيق هذا الاستخلاف باستثمار الطبيعة وارتياد الآفاق.

وعلى ذلك فقد استحال علم الكلام إلى تلك المناقشات المستغرقة في التجريد، المستبطنة للماهيات و المرتفعة عن الواقع، إلى الحد الذي أصبحت معه العقيدة عند الخاصة " فلسفية تدور حول قضايا لم يكن الجيل الأول من المسلمين يشغلون أنفسهم بها كمسألة الذات والصفات، هل هي عينها أم غيرها، ومـسألة خلق القرآن والبحث في جـزئيات الحياة الآخرة، وفي العرش والكرسي، وأيهما أقدم إلى غير ذلك من مسائل شغلت الخاصة عن أصل العقيدة المحررة للإنسان

([1])كمال جحيش،**معرفة الآفاق والأنفس وأثرها في تحقيق الاستخلاف**،رسالة دكتوراه (غير منشورة)، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، معهد الدعوة وأصول الدين،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة،2005/ 2006 م، المرجع نفسه، المقدمة (ب).

(...) وأما ما سوى ذلك من جزئيات وتفصيلات فقد آمن بها الأولون كما وردت في القرآن الكريم، دون أن يجعلوها موضوعا للبحث النظري والخلافات"[1].

و من بين المـزالق الابستيمولوجية التي أجـجت ازدواجية المعرفة في وعي المسلم المعاصر، نقل المنهجيات الغربية وإسقاطها على الواقع، فنتج عن ذلك بروز سبيلين، "سبيل الدنيا وسبيل الله والفضيلة، وانقسام الحياة الإسلامية إلى هذين السبيلين، بحيث يتعارض أحدهما مع الآخر على الدوام، أدى ذلك إلى أن يفسد كل منهما الآخر ويقضي على دوره ومعناه، وانتهى الأمر إلى أن يصبح أحدهما جديرا بالإطراء ويشمل القيم الدينية، والآخر مشحونا ويشمل الحياة المادية بكل قيمها"[2]، رغم أن المسلمين الأوائل لم يعرفوا هذه الازدواجية الفكرية، إذ كانت الحياة بالنسبة إليهم حصيلة جدل الدنيا والدين، وكان الصراط المستقيم معبرا عن ذلك، الذي كان "سبيلا مركزيا واحدا ينبع من الرؤية الإسلامية ويشمل كافة أهداف الإنسان ونشاطاته في تدفق واحد من أجل تحقيق الذات الإسلامية"[3].

ولما حاول المفكرون العرب نقل منهجيات الغرب، وإعادة استنباتها في البيئة المعرفية الإسلامية، باءت كل محاولاتهم بالفشل الذريع؛ لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يثمر هذا الزرع الدخيل في وعي الأمة، وقد صاغ "للناس جميع تصوراتهم عن الكون والحياة والإنسان، بل ويصـوغ لهم معتقدات بديلة إذا لـزم الأمر، ويجيـب عن الأسئلة النهائية"[4]، والمسلمون أنفسهم في الوقت نفسه يملكون الهدي الرباني بين أضلعهم، ولذلك نراهم قد انشغلوا "خلال القرنين الأخيرين بمحاولات لمقاربة الرؤية الغربية للكون والحياة والإنسان أو مقارنة الإسلام وقياسه إليها"[5]، إلا أن ذلك التودد المعرفي لم ينتج في الحقيقة إلا العماية المعرفية والتخلف الحضاري.

([1]) محمد المبارك، **المجتمع الإسلامي المعاصر**، ط5، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1980م، ص 54.

([2]) إسماعيل راجي الفاروقي، **إسلامية المعرفة، المبادئ العامة- خطة العمل- الإنجازات، المصدر نفسه**، ص 70.

([3]) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

([4]) **كلمة التحرير**، مجلة إسلامية المعرفة، السنة 01، العدد 02، ص 07.

([5]) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فالمعروف أن أي منهجية معرفية، هي مرتبطة ببيئة معرفية بعينها، خاضعة لشروط إبستمولوجية خاصة، ومن ثمة فإنها توصف بالنسبية، وتفتقر بعد ذلك إلى الشمول والتعميم[1]، وعليه فلا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل الخلفيات الثقافية والتحيزات الشديدة والارتباطات الإيديولوجية لهذه المناهج، مما يزيد من نسبة عدم صلاحيتها[2].

2- إزدواجية التعليم:

إن أهم فكرة انبثقت عنها فلسفة التكامل المعرفي ، هي مشكلة ازدواجية التعليم التي مثلت محور المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي عام 1977م، الذي عزا أزمة الأمة بالدرجة الأولى إلى وضعية التعليم السائدة في البلاد الإسلامية، "فقد اتخذ نظام التعليم العلماني اللاديني منذ إنشائه على يد الإدارة الاستعمارية مواقع حساسة وأبعادا مهمة على حساب النظام الإسلامي وإزاحته من الميدان"[3]، الأمر الذي جعل نظام التعليم في العالم الإسلامي يعيش تناقضا معرفيا[4]، إذ رغم محاولات التحديث التي مست نظام التعليم الديني التقليدي، إلا أن هذه المحاولات قد باءت بالفشل؛ لأنها لم تفرغه من مفاهيمه العلمانية، بل تم إدراج العلوم الغربية الحديثة من دون أي محاولة لتنقيحها مما انطوت عليه من المقولات العلمانية، ولهذا جاءت الدعوة إلى تكريس التكامل المعرفي من باب رفض هذا النوع من التحديث الذي مسّ المناهج العلمية من جهة، وقصد القضاء على مشكلة ازدواجية التعليم وتبعاته المعرفية من جهة ثانية[5].

([1]) جورج زياني،**رحلات داخل الفلسفة الغربية**،ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993م، ص 102.

([2]) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

([3])إسماعيل راجي الفاروقي، **إسلامية المعرفة، المبادئ العامة- خطة العمل –الإنجازات**، ص 32.

([4]) أديب إبراهيم الدباغ، **الإغتراب الحضاري لدى المسلم المعاصر**، مجلة حراء، السنة 02،العدد 06، يناير/ مارس2007م،ص 33.

([5])أبو بكر محمد أحمد إبراهيم، **مفهوم التكامل المعرفي وعلاقته بإسلامية المعرفة**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 11، العددان 42/ 43، خريف1426هـ/ 2005م، شتاء1427هـ/ 2006م ، ص 18.

وتبعا لذلك فقد أدى تربع النظام المعرفي الوضعي على وعي الأمة، لانقسام التعليم في العالم الإسلامي إلى تعليم ديني وآخر مدني، فالتعلم الديني الموروث لا زال يلوك العلـوم التقليديـة وفـق أساليب وأنماط عاجزة عن وصل ما يتم تلقينه للمتعلم بحياته، ومن ثمة إعداده ليكون منتجا نافعـا لحاله وأمته يلبي ما هي في حاجة إليه مـن تطلعـات وتقـدم،و يجعلهـا ترقـى إلى غيرهـا مـن الأمـم الأخرى.

و تبدأ المشكلة في أساسها حينما "تحاول أمة أن تتبنى الفكر التربوي لأمة أخرى وتتخذه مادة لتربية أبنائها، حين تتبنى الأمة المسلمة الفكر التربوي الغربي، فإن من الطبيعي أن ينشأ أبناء الأمة الإسلامية على قيم الفكر الغربي وأعرافه وتقاليده، وإذا بقيت لدى أبناء الأمة المسلمة بقية من قيم الإسلام وأعرافه فإنها تكون في حالة صراع وتنافس مع القيم الغربية، تتمزق معها شخصية الإنسان المسلم، وتضعف لديه مقومات الهوية الإسلامية أو تتلاشى ملامحها"[1]، ذلك أنه في إطار غياب رؤية توجيهية، من شأنها ترشيد العمل التربوي، والتخطيط لما ينبغي أن يتبع من مفاهيم ومناهج تنأى بالتعليم الإسلامي عن الوقوع في هذه الازدواجية، أدى ذلك إلى بروز وعيين متناقضين ونظرتين مختلفتين في الحياة العلمية الإسلامية:

الأولى دينية تركن إلى شرنقة التراث، تأبى الخروج عن الأساليب القديمة المتبعة في التعليم، مع أنها أساليـب وطرق لا يمكن أن ترقى إلى التقـديس، ذلك أن الله تعالى أمر بالعلم وحث على طلبه، لكن لا ينبغي في الوقت نفسه الإبقاء على التعلم الإسلامي في طابعه التراثي.

أما الثانية فهي مدنية تغترف من معين النظام المعرفي الوضعي، وتضطلع بدراسة العلوم التي تتصل بصفة مباشرة بواقع الإنسان، من قبيل العلوم الطبيعية والعلوم التطبيقية البحتة، لكنها في الحقيقة منقطعة عن هدي الدين، ترنو إلى السيطرة على الطبيعة إلى الحد الذي يمكن الإنسان من السيطرة عليها والتربع على عرشها.

([1]) فتحي ملكاوي، **التحيز في الفكر التربوي الغربي**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 09، العددان 37 / 38، صيف- خريف 1425 هـ/ 2004 م ، ص 183 .

هذا في الحقيقة يدل على أعتى وجوه الصراع المعرفي داخل الفكر التربوي الغربي، ذلك أن المعرفة والعلم إنما "حصل عليها الإنسان من الآلهة بطريقة السرقة ولو لا ذلك لبقي الإنسان جاهلا"[1]، هـذا يدل على أن الفكر التربوي الغربي، ينـطوي على رؤيـة كونية، تخالف الرؤية الإسلامية التي "ترى أن الدين هو نظام يشمل أوجه الحياة الإنسانية جميعها وتنبثق فيه الأنظمة الفرعية في مجال الحكم والاقتصاد والقانون، والتربية والإعلام"[2].

فعلى هذا الوجه سعت السلطة المدنية في العالم الإسلامي إلى تمثل مناهج الغرب وفلسفته التربوية في سبيل إحراز التقدم، فشجعت المدارس المدنية التي تعنى بتقديم العلوم البحتة التي آتت أكلها سريعا في المجتمعات الغربية، متجاهلة في ذلك العمل على صياغة معاصرة لفلسفة تربوية، تحمل في طياتها الرؤية الإسلامية الشاملة لمختلف مناحي الحياة،"إذ لا يمكن أن يكون هناك أي أمل في إحياء حقيقي للأمة ما لم تصحح نظامها التعليمي وتُقوّم أخطاءه (...) بل يجب أن يكون النظام التعليمي نظاما واحدا ينبع من الروح الإسلامية ويعـمل باعتباره وحدة متكامـلة مع برنامج الإسلام العقدي، ويجب أن لا يبقى نظام التعليم في العالم الإسلامي مقلدا للنظام الغربي أو أن يترك هائما ليجد مخرجا بنفسه"[3].

و مما يجب التنويه به في هذا المقام، أن تسـلل النظام المعرفي الغربي القائم على العلمانية، إلى النظام التعليمي في العالم الإسلامي كان الهدف منه تفتيت شخصية المسلم وإعادة تشكيل وعيه بجعله تابعا للمنظومة المعرفية الغربية، وذلك لأن التعويل على التعليم، جاء لكونه يمثل أسهل الطرق وأقصرها، لتحقـيق أهداف الإستشـراق الجديد، أو لِنَقُلْ الاسـتغراب بدلا مـنه، ولإفساد النظرة الكلية العقدية، التي تتخذ التوحيد محورا لها.

و على هذا، فالتربية وفق ما ينبغي أن تكون عليه: "إعداد المسلم لإنتاج المعارف المتسمة بالأصالة والمعاصرة في ميادين الحياة المختلفة ثم إعداده ليحسن – أي يتفق إداريًا وفكريًا وممارسةً –

([1]) المصدر نفسه، ص 05.

([2]) المصدر نفسه ، ص 06.

([3]) إسماعيل راجي الفاروقي، **إسلامية المعرفة، المبادئ العامة– خطة العمل– الإنجازات،** ص 41.

وتوظيف هذه المعارف في حياة الأفراد والجماعات في ضوء علاقاته بالخالق والكون والممارسات والحياة والآخرة"[1]؛ ذلك أن هذا الإعداد من شأنه في الحقيقة أن يسهم بشكل كبير في انبثاق الرؤية الكلية الشمولية للحياة والكون وفق التأطير التوحيدي للمعرفة، وعليه فيجب مراعاة هذه الرؤية في إعداد المناهج التعليمية فيما "تقدمه المدرسة إلى تلاميذها تحقيقا لرسالتها وأهدافها ووفق خطتها في تحقيق هذه الأهداف"[2]، بما يمكنها في النهاية من تحقيق الوحدة المعرفية في وعي المتعلم، فيصير قادرا على إدراك الوجود بجميع أبعاده المعرفية، ومن ثمة فإن الوحدة المعرفية لا تتحقق من دون "تعلق المفاهيم الفحوية ببعضها البعض، بحيث تصبح نسقا متجانسا واحدا، والوحدة انتظام في إطار واحد تكون العلاقات داخله هرمية تفاضلية، تشد بعضها بعضا"[3].

وانطلاقا من إعادة صياغة الرؤية المنهجية لفلسفة المناهج التعليمية تتحقق المعرفة التربوية الإسلامية المنسجمة مع التصور العقدي الإسلامي، باعتبار المعرفة الإسلامية وفق هذا الطرح تمثل "المنتج الثقافي للأمة"[4]، والسعي نحو "تكامل الوحي الكلي والعقل الجزئي في بناء المعرفة الإنسانية ومعرفة السنن والفطرة والطبائع في الكون والكائنات، هو أهم وجوه العطاء الإسلامي للحضارة الإنسانية وترشيد مسيرتها في عالمنا اليوم"[5].

([1]) ماجد عرسان الكيلاني، **مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها**،سلسلة أصول التربية الإسلامية 03،د- ط، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، 1998، ص 77.

([2]) الدمرداش عبد المجيد سرحان، **المناهج المعاصرة**، ط5، مكتبة الفلاح، الكويت، 1985م، ص 11.

([3]) إسماعيل راجي الفاروقي، **جوهر الحضارة الإسلامية**، مجلة المسلم المعاصر، المجلد 07، العدد27، شعبان - رمضان- شوال 1401ه/ يوليو- أغسطس- سبتمبر 1981م، ص 12.

([4])طه جابر العلواني، **إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر**، طبعة منقحة ومزيدة، سلسلة إسلامية المعرفية 10، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب الأردن، 1416هـ/ 1995م ، ص 21.

([5])عبد الحميد أحمد سليمان، **أزمة العقل المسلم**، ط1، سلسلة إسلامية المعرفة 09، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1412هـــ/ 1991م ، ص 214.

من جهة أخرى المعرفة الإسلامية تسعى إلى امتلاك العلم باعتباره وسيلة وغاية في ذات الوقت، نحو "إعادة بناء العالم بالمعـرفة المتبصّرة بالإيمـان، المستمد من هدي الله سبحانـه وتعالى"[1].

إن ما زاد في ضمور الرؤية الإسلامية القويمة لفلسفة التربية الإسلامية، هو الاقتباس المباشر من المناهج الغربية، التي تشتمل على عناصر الصراع الجدلي بين الإنسان والطبيعة الذي أدى إلى صياغة مختلف المذاهب الفلسفية والعلمية، التي رغم تنوعها الظاهر، إلا أنها تشترك في رؤية كونية واحدة، ومن ثمة فـهي تشترك في الأسس الابستمولوجية للمعرفة، كاعتبار الحس وحده، مصدرا نهائيا للمعرفة، واختزال الأبـعاد المعيارية في دراسة الإنسان، لأنه جزء من الطبيعة، وإنكار كل المصادر المعرفية الأخرى التي لا تخضع للمنهج الحسي والتجريبي.

هذا الاقتباس بطبيعة الحال أدى إلى انحـسار الرؤية الإسلامية للإنسان والكون والطبيـعة، من ثمة بناء الأنظمة التعليمية وفق مناهج العلوم الإنسانية الغربية وفلسفتها، "متناسية في ذلك أن فلسفة التربية يجب أن تنبع من تراث الأمة، وفكرها وعقيدتها وأن أي نظم تربوية مستوردة، مصيرها أن تُلفظ كما يَلفظ الجسم عضوا غريبا يغرس فيه"[2].

لقد أدرك المهتمون بالفكر التربوي الإسلامي المعاصر أن إصلاح التعليم في العالم الإسلامي، يعد مدخلا منهجيا لإصلاح الفكر الإسلامي بوجه عام، ومن ثمة فإصلاح العلوم الشرعية وطرق تدريسها مما لا يمكن أن نتأخر فيه لحظة واحدة، فكما هو ظاهر أن "الطالب في العلوم الشرعية يتلقى دون أن ينتج، يستقبل دون أن يرسل، يتعلـم ليُعَرِّف لا ليكون، ليقلد لا ليـجتهد، ليستزيد لا ليزيد، ليوعظ لا ليتواصل، يكتسب العلم باتجاه واحد، وهو وعاء فيه (...) وتتسم العملية التربوية في العلوم الشرعـية بسمات بـارزة تفسر قصـور الإنتاجية، منـها: التلقي

([1])عماد الدين خليل، **مدخل إلى إسلامية المعرفة**، ط1، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 2006م ، ص 21.

([2]) زغلول سعد النجار، **أزمة التعليم المعاصرة وحلولها الإسلامية**، ط1،سلسلة رسائل المعرفة 06، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1410هـ/ 1990م، ص 43.

والتلقين، والتكرار، والاجترار"[1]، هذا الجمود الذي يطبع النظام الموروث في التعليم الإسلامي، جعله قاصرا عن مسايرة المعرفة البشرية، منغلقا على ذاته، لا ينفعل مع حركة الواقع منقطع عنه، الأمر الذي جعل ساحة العلوم الدينية تضيق، ولو أن الإقبال عليها يكون محتشما، في حين نرى الإقبال الشديد على بقية المراكز التي تدرس العلوم الطبيعية والتطبيقية.

و على أية حال، فإن "الخلل في كلا المنظومتين السائدتين في العالم الإسلامي - المنظومة المعرفية المنكفئة على الذات والمهملة لعالم الشهادة والمنظومة المعرفية المنفتحة على عالم الشهادة والملغية لعالم الغيب- قد أثرا تأثيرا واضحا على العالم الإسلامي، فأوجد نوعين من العلم: علم ديني وعلم دنيوي، وعلى أساس هذا التقسيم توزعت المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي ما بين المدارس الدينية والمدارس العلمانية"[2].

- ثالثا: مسوغات الدعوة إلى استعادة فلسفة التكامل المعرفي في الفكر التربوي الإسلامي المعاصر:

يُعوّل منظرو الفكر التربوي الإسلامي المعاصر كثيرا على تفعيل فلسفة التكامل المعرفي في واقع حياة الأمة وفكرها، باعتباره أنجع الحلول المعرفية، لتجاوز الأزمة التي يترنح فيها "الفكر الإسلامي التقليدي ونظيره الغربي [باعتبارهما] يعيشان أزمة، أسهم في تعميقها واستمرارها الخلط المفاهيمي، وغياب الرؤية التوحيدية الكلية، وقد حددت الأزمة الفكرية بالنسبة للأول في الأدوات المنهجية المستخدمة فيه، وبالنسبة للفكر الغربي في الرؤى الوضعية التي تهيمن على مجالاته"[3]، الأمر الذي استدعى تكثيف الجهود وتثمين المبادرات المعرفية التي من شأنها إجلاء حقيقة التكامل المعرفي

([1]) أنور أبو طه وآخرون، **خطاب التجديد الإسلامي، الأزمنة والأسئلة**، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2004م، ص44.

([2])عبد الله محمد الأمين النعيم، وجمال الدين عبد العزيز شريف، **مصادر المعرفة الإسلامية**، ط2، سلسلة الكتب المنهجية 03، معهد إسلام المعرفة، جامعة الجزيرة، 2007م، ص 51، ص 22.

([3]) أبو بكر محمد إبراهيم، **مفهوم التكامل المعرفي وعلاقته بحركة إسلامية المعرفة**، المصدر نفسه، ص ص 13- 14.

والخروج به من الإجراءات النظرية إلى التطبيقات الميدانية[1].ذلك أن المقصود من التكامل المعرفي فيما نرى، هو محاولة معـرفية لتحقيق التكامل والانسجام المعرفي بين الدين (الوحـي) والخبـرة الإنسانية (العلم)، الأمر الذي تصير معه "المعرفة الكونية غير وضعية (...) فحين يسترد الدين المعرفة العلمية إليه باتجاه الكونية ويبرئها من الوضعية، يكون قد قام بعملين مزدوجين في كل واحد، فمن ناحية يدين الصراع اللاهوتي المسيحي مع العلم، ومن ناحية أخرى يدين توجهات الوضعية في العلم، فلا تكون المعرفة بعد ذلك إلا إسلامية، مبرئا الدين من اللاهوت في ذات الوقت الذي يبرئ فيه العلم من الوضعية"[2].

أجل، إن من بين عناصر القوة المعرفية في نسق فلسفة التكامل المعرفي الإسلامي، قدرته الابستيمولوجية على التركيب بعد التفكيك الذي لحق بمصادر المعرفة، تحقيقا لتصور "شامل للوجود والطبيعة والحياة يضعا في نسقها القويم، حيث تتكامل العلوم الدينية والكونية والإنسانية في انسجام رائع بين رسالة الوحي ورسالة العقل، يكشف عن وحدة بين علم نفهمه من كتاب الله المسطور وآخر نستقيه من ظواهر الكون المنظور، وإن افتعال أي تناقض بين هذين العلمين يفضي إلى ازدواجية ذميمة في الفكر وفي مناهج التعليم طالما تسللت إلى ثقافتنا عبر مرئيات الفلسفة الغربية المادية، تلك الفلسفة التي أنكر مفكروها الغيب كما توهم آخرون منهم فصاما بين الدين والدنيا، عضَّدوه بمقولة نسبوها إلى الإنجيل تعني أن (ما للرب للرب وما لقيصر لقيصر)"[3].

ولأجل ذلك فقد تم إنشاء كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بماليزيا، باعتبارها المجال الخصب لاستثمار المشروع، خصوصا فيما يتعلق بتوظيف الأطر النظرية لفلسفة التكامل المعرفي،

([1]) فيما يخص الفصام بين الجانب التعبدي والواقع العمراني، أنظر: (مهندس يحي وزيري، **العمران والبنيان من منظور الإسلام**، ط1، روافد للإصدارات الإلكترونية على الموقع :http://www.islam.gov.kw/thaqafa/contents/books - Omran/part%201.pdf/إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1429هـ/ 2008م، ص 75).

([2])محمد أبو القاسم حاج حمد، **إسلامية المعرفة،المفاهيم والقضايا الكونية**، مجلة تفكر، المجلد 03، العدد 02، 1422هـ/ 2001م، معهد إسلام المعرفة، جامعة الجزيرة، السودان، ص ص 25- 26.

([3]) علي طاهر شرف الدين، **تأصيل المعرفة، أسسه وأهدافه**، مجلة التأصيل، مجلة فكرية فصلية محكمَّة، تصدر عن إدارة تأصيل المعرفة بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العدد 06، الخرطوم، يناير 1998م، ص ص 06-07.

"بحيث تكون غايته إدخال العلوم الاجتماعية الحديثة في الممارسة الفكرية بمؤسسات التعليم الإسلامي، على اعتبار أن هذا (الإدخال) وتلك (الممارسة) [تعدُّ] شرطا ضروريا ومقدمة لازمة لولادة علوم إجتماعية إسلامية النشأة"[1]، ذلك أن الرغبة في إنزال فلسفة التكامل المعرفي وتطبيقها في الواقع الإجرائي تعدُّ استكمالا لبناء المعرفة التربوية الإسلامية المنشودة، وتنفيذا للتصور التكاملي الذي تقوم عليه، وذلك باعتبار أن المشروع بالأساس يهدف إلى التفاعل الإيجابي مع الواقع، ولكن"لا يكفي التأصيل النظري لفكرة التكامل، بل لا بد من صياغة المعرفة والسير بتطبيقاتها في ضوء مبادئ التوحيد، حتى تظهر نتائج عملية التكامل المعرفي كما يراد لها أن تظهر"[2]، لهذا ترى أن التكامل المعرفي باعتباره يقوم على بنية نسقية متينة يأبى أن يكون ذلك الفصام بين الدين والقيم والممارسة العلمية، على أساس أنه من الناحية المنطقية يلزم القول بوحدة الحقيقة، ارتباط هذه الحقول المعرفية بعضها ببعض "فهناك معارف الوحي، وهناك العلوم الإنسانية؛ حيث إننا لا يمكننا أن ندرك حقيقة دلالات التوجه والهدي الإلهي دون معرفة الطبائع، والوقائع في الإنسان وفي الكائنات، كما أنه لا يمكننا الإسهام في العمل على هداية الحياة الإنسانية وممارستها وتسخيرها ورعايتها للكون والكائنات، إلا إذا اهتدت هي ذاتها بقيم الشريعة ومقاصدها ومبادئها الكلية الصادرة عن الخالق الحكيم العليم"[3].

إلى هنا يبدو أن فلسفة التكامل المعرفي الذي يطمح الفكر التربوي الإسلامي المعاصر إلى تفعيله في الواقع، "يشير إلى عملية تفعيل الرؤية الإسلامية في كل مجالات العلوم، سواء كانت علوما طبيعية أو اجتماعية أو إنسانية أو شرعية، فالمعرفة التي تجمع بين هداية الوحي والخبرة البشرية

([1])أبو بكر محمد أحمد محمد إبراهيم، **مفهوم التكامل المعرفي وعلاقته بحركة إسلامية المعرفة**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 11، العددان 42-43، خريف 1426هـ/ شتاء 2006م، ص ص 13-14، المصدر نفسه، ص 36.

([2]) المصدر السابق، ص 31.

([3]) المصدر نفسه، ص 37.

في عملية تفهم الحقائق التي تبحث فيها يمكن وصفها بالمعرفة المتكاملة"[1]، وبالتالي ففلسفة التكامل المعرفي في مجال تجديد الفكر التربوي الإسلامي المعاصر تطّلع بأمرين اثنين:

- أولهما:

تقديم الرؤية الإسلامية المتكاملة البديلة عن الرؤية الغربية، ببيان أوجه القصور التي عجزت الأنماط المعرفية والتحليلية السائدة عن إدراكها، وبالتالي الانطلاق من النقد الابستمولوجي للنسق المعرفي الغربي إلى تقديم الرؤية الإسلامية البديلة، ومن تفكيك مقولاته إلى تركيب المقولات المتكاملة مع حركة الواقع والتاريخ، بحيث تتماهى مع هذه المقولات، آثار الجدل القائم بين الدين والعلم، الذي توهم بسبب سوء تقدير الحقيقة، والإيمان بتحققها من منظور المشاهدات الإمبريقية فحسب وتبعا لهذا فإنه لا يمكن الحديث عن الحقيقة غير الأمبريقية، وتأسيسا على ذلك، فقد انسحبت هذه القناعة لتشمل الإنسان ذاته، مع أنه- أي الإنسان- ليس بالضرورة هو جزء من العالم الخارجي؛ بمعنى أن الإنسان مظهر وجوهر، ولا شك أن الجوهر خلاف المظهر، فقد كان لتبني هذه المقولة في الفكر الغربي الوضعي أسبابا دعت إلى ذلك، منها ارتباط مفهوم الحقيقة بالتفسير الميكانيكي لها في ميدان العلم[2]، هذه النقطة بالذات شكلت جدلا إبستمولوجيا حادا؛ إذ ليس بالضرورة ما نعدُّه في ميدان العلوم الطبيعية حقيقة، هو كذالك في ميدان العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، وبالتالي فقد تعرضت نظرية التطابق في الحقيقة "*Correspondence theory of truth*" لهزات إبستمولوجية عنيفة، من قبل فلاسفة العلم الغربيين أنفسهم، بدعوى بطلان توحيد مفهوم الحقيقة في جميع المعارف والعلوم، وهذا يمثل رفضا قاطعا على الصعيد الابستمولوجي ضد الاجتياح الوضعي لجميع قطاعات الحياة ومناحيها.

([1]) عبد الله محمد الأمين النعيم والزين عبد الله يوسف أحمد، **التكامل المعرفي، نحو نسق فكري إسلامي**، ط1، معهد إسلام المعرفة (إمام)، جامعة الجزيرة، السودان، 2011م، ص 04.

([2]) راجع: دونالد جيليز، **فلسفة العلم في القرن العشرين**، ترجمة: حسين علي ومراجعة إمام عبد الفتاح إمام، ط1، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009م، ص 96.

و كذلك: براين ماجي، **رجال الفكر، مقدمة للفلسفة الغربية المعاصرة**، ترجمة وتقديم: نجيب الحصادي، ط1، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ليبيا، 1998م، ص 399.

- ثانيهما:

هو سعي فلسفة التكامل المعرفي الإسلامي إلى الربط بين مختلف العلوم وليس الدعوة إلى وحدة العلوم بالمعنى الوضعي؛ ذلك أن الربط بين العلوم يستدعي مراعاة الجوانب القيمية التي تسعى إليها العلوم، فإذا كان "العلماء الجدد في الغرب الذين يغلب على بحوثهم الطابع التحليلي، والاهتمام بالجانب الكمي، وملاحقة الموضوعات الثانوية [نجد] العلماء المسلمون يحاولون تكوين نموذج معرفي يمتاز بطابع تركيبي أفضل، ويطمح إلى تقديم رؤية أكثر شمولية للكون، وقد ساهم في ذلك اقتران علومهم بلون من الحكمة حالت دون ظهور ما نراه في عصرنا من اتخاذ العلم وسيلة لتحديد الموضوعات القيمية [لا العكس؛ بمعنى توجيه القيم لمسار العلم]، ومنحه قدرة خارقة ذات طابع إلهي، الأمر الذي يؤدي إلى خروج العلم عن نطاق السيطرة، وتحوله إلى خطر يشهر سيفه بوجه الإنسان"[1]؛ بمعنى أنه بفضل التكامل المعرفي بين العلوم يصير العلم الإسلامي يدرس الكائنات الطبيعية والكايانات الإنسانية وذلك في إطار الرؤية الإسلامية؛ إذ ليس بخاف على أحد دعوة الإسلام إلى طلب العلم، "كما ساوى بين طلب العلم والعبادة وأغرق الثناء على أولئك الذين نذروا أنفسهم لخدمة العلم وجعل منهم أولياء لله وأصفياء له، رافعا مدادهم إلى منزلة تفوق منزلة الشهداء"[2]، وبالتالي يضحى العلم مربوطا بغايات الحياة ويهدف إلى تدبير شؤونها، ومن ثمة معرفة الخالق، وبناءً على ذلك يصبح العلم في الإسلام مُدَيْدَنًا؛ بمعنى أن يكون مؤثرا ونافعا في الإقدام على معـرفة الله تعالى، هـادفا إلى ربط الوجود الإنـساني بالقيم الإلهية، المتجاوزة للأطر المادية[3]، وعلى هذا الأساس يغدو العلم في الإسلام متكاملا ومكملا لمغزى الوجود الإنساني متفاعلا مع النظامين القيمي والأخلاقي.

([1]) مهدي كلشني، **من العلم العلماني إلى العلم الديني**، ط1، ترجمة: سرمد الطائي، مراجعة: صادق العبادي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003م، ص 168.

([2]) إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، ص 333.

([3]) مهدي كلشني، **من العلم العلماني إلى العلم الديني**، ص 159.

أضف إلى ذلك أن فكرة التكامل المعرفي، إنما جاءت أيضا كضرورة معرفية وذلك تصحيحا لتلك المزالق المنهجية التي تمثلت في "محاولات أخرى تقوم على فكرة ساذجة ظن أصحابها أن إضفاء الصبغة الإسلامية على نظام التعليم الوافد من الغرب ممكن، وذلك بمجرد إدخال مقررات من الدراسات الإسلامية، وإلزام الطلاب بها في كل مراحل التعليم"[1]، الأمر الذي أدى بالطبع إلى "تغريب المعرفة *westernization of knowledge* " بحسب تعبير نقيب العطاس، وهي المشكلة الأخرى التي لفظتها مشكلة ازدواجية التعليم، وعليه فإن مسعى التربويين المعاصرين من الرغبة في تفعيل فلسفة التكامل المعرفي، الهدف منه مواجهة التحديات المعاصرة الرامية إلى شطر النظام التعليمي إلى شطرين بهدف اختزال "الاستعمال العلماني لمفهوم "الدين"؛ ونحن نعلم أن هذا الاستعمال يُراد به قصر الحقيقة الدينية على الحياة الداخلية الخاصة للإنسان، سعيا إلى الفصل بينهما وبين الحياة الدنيوية العامة"[2]، ونحن في هذا المقام – فيما نرى–، أن هذا المسعى يعد من أهم النجاحات المعرفية التي حققها الفكر العلماني الوضعي في حياة المسلم المعاصرة، فقد تمكن من سلبه القيم العلمية والمعرفية التي حضَّه عليها القرآن الكريم في أول آية أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم، و"هكذا تتجلى قيمة القيم العلمية والمعرفية؛ فهي تنظيمٌ لتصورات الإنسان للكون والحياة والمصير (...) فإذا انفصل الإنسان عنها أفسد في الأرض وأهلك الحرث والنسل"[3].

([1]) المصدر نفسه، ص 19.

([2]) طه عبد الرحمن،**روح الدِّين،من ضيق العلمانية إلى سَعَه الائتمانية**،ط1،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012م، ص347.

([3]) خالد الصمدي، **القيم الإسلامية وحاجة الواقع المعاصر**، مجلة حراء، السنة 04، العدد 13، أكتوبر / ديسمبر 2008م، ص 06.

خـــاتمـــة:

من خلال العرض الذي قدمناه، يمكننا استخلاص النقاط الآتية:

- ضرورة تفعيل فلسفة التكامل المعرفي في إطار الفكر التربوي الإسلامي المعاصر، لأنها فلسفة قادرة على تأطير المنظومة التربوية، بوصفها أداة موصلة إلى تفعيل الرؤية الإسلامية إلى العالم وإحداث تغيير نموذجي في الوعي الإسلامي الراهن، من منطلق أن تخلف العالم الإسلامي إنما يعود إلى تخلفه المعرفي، وقصوره الشديد في المنهجية الفكرية، الأمر الذي أدى إلى اعتلال الفكر الإسلامي وتوقف مسيرته عن العطاء.

- تفعيل فلسفة التكامل المعرفي في ميدان الفكر التربوي الإسلامي، من شأنها أن توصلنا إلى تحقيق الرؤية الكلية عن الكون والحياة والإنسان.

- فلسفة التكامل المعرفي في إطار الفكر التربوي الإسلامي المعاصر، تهدف إلى تحقيق نظام تعليمي توحيدي، يربط بين العلوم وغاياتها، وبين الدين والدنيا وبين الإنسان وواقعه.

- فلسفة التكامل المعرفي وإن كانت تطبيقاتها على الصعيد التربوي ممكنة، إلا أن نتائجها في الحقيقة أبطأ في الظهور، بالمقارنة مع الميادين الأخرى.

- التأكيد على إعادة الاعتبار لتكاملية المعرفة داخل المنظومة التعليمة، وذلك من أجل تغيير واقع التعليم والنهوض به.